مجلـــة بـدايـــات
Revue :Bidayat ISSN: 2676-198X
المجلد: الرابع(04)/ العدد: الأول(01) / جانفي 2022 / ص ص: 45-55

أبنية الدعاء في اللغة العربية ومقاصدها الإبلاغية أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم نماذج مختارة.

The prayer structures in Arabic its reporting purposes are the prayers of the Messenger of God, selected examples.

سليمان بن سمعون [1]

Slimane bensemaoune [1]

[1] **جامعة غرداية (الجزائر)**

البريد الإلكتروني : dr_bslimane@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:22-08-2021	تاريخ التحكيم: 01-09-2021	تاريخ القبول: 17-09-2021	**تاريخ النشر**: 30-01-2022

ملخص البحث

الدعاء مخ العبادة كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا المقال سنبحث عن العلاقة بين بنية الدعاء والقصد الإبلاغي من ورائه، وسيكون حظنا تحليل بعض الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من منطلق تحديد بنية الدعاء ، أي البحث في العلاقات النحوية التي صنعت المعنى من خلال النظر في ترتيب الكلمات في الحديث الشريف، وبهذا نكون قدّ قدّمنا جزءًا من الدراسة اللسانية لبنية الدعاء.

الكلمات المفتاحية : أبنية ؛ دعاء ؛ العربية ؛ الحديث النبوي.

Abstract:

Supplication is the brain of worship as it was reported from the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, and in this article we will discuss the relationship between the supplication's structure and the informative intent behind it. The grammar that made the meaning by looking at the order of words in the noble hadith, and thus we have presented a part of the linguistic study of the structure of supplication.

Kayswords: Structures, Prayers, Language, Prophetic Hadith.

تمهيد:

إن للدعاء أهمية عظمى في حياة الناس، ومن خلاله تتأكد الصلة بين العبد وربه؛ ولعل بحثنا هذا سيبرزُ بعض خصوصيات الدعاء، من منطلق تحليل أبنية بعض الأدعية وبيان مقاصدها الإبلاغية؛ واخترنا لذلك مجموعة من الأحاديث النبوية لرسولنا محمد **صلى الله عليه وسلم** منها أدعية الاستغفار، وأدعية التسبيح، وبعض الأحاديث المبيّنة لكيفية الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ والمتضمنة فضيلة الدعاء ، وقد تطَّلب هذا البحث الانطلاق من مجموعة مفاهيم وهي: البنية، ومعنى الدعاء، واللغة ، والمقصد ، و الإبلاغية، وبتحديد هذه المفاهيم تتضح الغاية من هذا البحث.

المؤلف المرسل: سليمان بن سمعون dr_bslimane@yahoo.fr

1_ مفهوم البنية:

ورد وصف البنية في لسان العرب كأنها الهيئة التي بُني عليها "البِنية والبُنية ما بنيته، وهو البِنى والبُنى[...] يُقال: بِنية وهي مثل رشوة ورشاً، كأن البِنية الهيئة التي بُني عليها مثل المشية والركبة بالضم مقصور، مثل البِنى، ويقال بُنية وبُنى وبِنية وبِنى، بكسر الباء مقصور، مثل جزية وجِزى، وفلان صحيح البنية أي الفطرة، أبنيت الرجل أعطيته بناءً وما يبتني به داره" **1**

أما المعنى الاصطلاحي للبنية؛ فقد قررته اللسانيات البنيوية من حيث إن البنية نظام للغة؛ فمن بين تعاريفها" البنية جهاز يعمل حسب قوانين تحكُمه، ولا نمو لهذه البنية ولا بقاء لها، إلا بفضل القوانين نفسها، فالبنية عالم مكتف بذاته[...]فالبنية لا تحدد إلا ضمن سلسلة من العلاقات بين العناصر، فليست هي العنصر ولا هي مجموعة العناصر، ولكنها العلاقات القائمة بين هذه العناصر" **2**

2_ معنى الدعاء:

يرد الدعاء في اللغة بمعنى النداء والطلب، أما معاني الدعاء الاصطلاحية فمتعددة، ومن بينها أنه يعني" توثيق الحب بين العبد والرب: حمدا على نعمة الإسلام، واطمئنانا بالذكر، واهتداءً إلى سبل السلام،وتأسيًّا بالرسل الكرام" **3**

وقد ورد في فضل الدعاء" عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ أنّ رسول الله **صلى الله عليه وسلم قال:{** ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا أتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) فقال رجل من القوم: إذا نكثر قال: الله أكثر} رواه الترمذي، وقال حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد، وزاد فيه:"أو يدخر له من الأجر مثلها" **4**

3_ اللغة العربية:

ذكر ابن جني في تعريفه للغة بأنها "أصوات يُعبّر كل قوم بها عن أغراضهم"**5**

واللغة العربية هي لغة اشتقاقية، وهي التي نزل بها القرآن الكريم؛ وهي ثرية بثراء مفرداتها ودلالاتها وتعدد صورها بين المنطوقة والمكتوبة، إذا فالعربية، هي نظام لغوي خاص لأنّ" المتحدّث باللغة العربية مشافهة حينما لا يستنجد بالوثيقة المكتوبة، وارتجالا عندما لا يكون ساردا لكلام جاهز يستعين على معاودته بالاستذكار؛ بعد أن يكون قد حفظه كليا أو جزئيا، فهو المدرك لهذه اللحظة التي تتراكب فيها وظيفة الوعي ؛ووظيفة الوعي المضاد، وبديهيٌّ أننا في ضربنا لهذا المثل نفترض أنّ الناطق بالعربية ملتزم بالإفصاح عن كل الحركات ؛ بما فيها علامات الإعراب" **6**

4_ المقصـــد:

من فعل " قصد قصدا الرجل وله وإليه: توجه إليه، وقصده نحا نحوه" **7**

وفي المعجم الوسيط:

" قصد الطريق قصدا:استقام، والشاعر أنشأ القصائد، وله ، وإليه توجه إليه عامدا"**8**

وقد تدل المقاصد على كل ما يرمي إليه المخاطِبُ من أغراض ؛يطلب تحقيقها عن طريق اللغة، وقد ذكر منذر عيّاشي في تحديده مفهوم الإيصال من حيث علاقته بالمقاصد مجموعة من الوظائف تحقق للغة وظيفة الإيصال حيث " يتمُّ عندما يتفق كل من الباث والمتلقي على اتخاذ اللغة أداةً للإيصال، ويُعدُّ الكلام جوهر العملية الإيصالية وأداة تنفيذها" **9**

5_ الإبلاغية:

يقصد بالإبلاغيةّ" مجموع الشحنات النفسية المتوارية في نص أدبي ما" **10**

حيث يُمكن تمثل مجموعة الشحنات النفسية، باشتمالها لكل إبداع لغوي، ويمكننا إدراج تلك الشحنات في مقاصد الدعاء، حيث يتعدى تحليله مفهوم الإخبار إلى الأساليب الإنشائية كالأمر والنهي؛ ودلالاتهما المختلفة، ولذلك ستكون مدوّنة هذا البحث مجموعة من الأدعية ذات المقاصد المتنوعة؛ لنتعرف على مقاصدها الإبلاغية، وما تحمله من شحنات نفسية.

ولا يخفى بهذا أنّ للدعاء شروطا، وفضائل تحقق حضوره، ومن بينها:

"اجتهاد الداعي في تطهير نفسه ظاهرا أو باطنا من الذنوب والآثام ومما يُعينه على ذلك:

أ_الاكثار من ذكر الله، واستغفاره، والتوبة إليه، ورد المظالم إلى أصحابها.

ب_مخالطة الأخيار.

ج_توطين النفس على التقيد بما أحله الله من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك،فإن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيّباً" **11**

أما فضل الدعاء فيتمثل في فضل ذكر الله تعالى حيثُ" بشّر رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أمته بأن الله تعالى أنزل عليه فيما أنزل(وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوة الداع إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون)سورة البقرة الآية 168

وبشّرها **صلى الله عليه وسلم** بكرم الله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم)سورة غافر الآية60

وحذّرها **صلى الله عليه وسلم** من إعراضها عن الدعاء، لقول الله تعالى(قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم)سورة الفرقان الآية77

وقال النبي **صلى الله عليه وسلم** : لن ينفع حذرٌ من قدرٍ، ولكنّ الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم بالدعاء عباد الله.

رواه أحمد في المسند، والطبري في الكبير" **12**

ومن بين أمثلة الدعاء التي ندرس بنيتها، ومقاصدها الإبلاغية ما يلي:

6_أبنية بعض أدعية الاستغفار ومقاصدها:

إن تحليل أبنية أدعية الاستغفار يكون من منطلق بنيتها، ثم تحديد الاختيار المعجمي للكلمات(*) التي تدل على معنى الاستغفار؛ وربطها بالأسلوب الإنشائي المناسب فعن" ابن عمر رضي الله عنه قال كنّا نَعُدُّ لرسول **صلى الله عليه وسلم** في المجلس الواحد مائة مرّة << رب اغفر لي، وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم>> رواه أبو داود والترمذي وقال حديثٌ صحيح [...] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول **صلى الله عليه وسلم** << من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه، غُفِرت ذنُوبه؛ وإن كان قد فـرَّ من الزحف>> رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وقال حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم " **13**

[1]نّ دعاء الاستغفار الوارد عن ابن عمر يبيّن أن الرسول **صلى الله عليه وسلم** في دعائه قد استعمل صيغة الأمر " وهو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء" **14**

فبدأ بذكر اسم"رب" ثم فعل الأمر الدال على الاستغفار(اغفر لي) *وبنيته هي فعل أمر مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت _عائد على اسم الجلالة الله_ ثم تليه شبه الجملة (لي) الدالة على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ثم حرف العطف الواو ، ثم الفعل تب وبنيته هي نفس بنية الفعل اغفر، ثم شبه الجملة(عليَّ) المتعلقة بالفعل تُبْ ، ثم الثناء على رب العزة بجملة مؤَكّدة (إنّك أنت التواب الرحيم) .

إذن بنية الحديث تتمثل في أسلوب الأمر؛وهو مُتحقق من حيث صورُ استعمال الأمر بلاغيا بصيغة الدعاء في مقامنا هذا، وغرضه هنا الخضوع والانقياد والطاعة لله عز وجل، ليُبيّن المقصد الإبلاغي من دعاء رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، وفي استعماله **صلى الله عليه وسلم** لأسماء الله الحسنى؛ وهي (التواب الرحيم) ما يحقق دلالة الاستغفار،ودلالة التوبة والإنابة في الفعل (تب)،وهما متحققان بتأكيد الجملة (إنك أنت)؛ أي تأكيد اختصاص التوبة والرحمة لله دون سواه، بما يُحققه ضمير المخاطب المنفصل(أنت) والضمير المتّصل (ك) الخطاب ،المرتبط بأداة التوكيد إنّ، ولعل ورود الرحمة بعد التوبة يُصاحبه فعل الرجاء من العبد إلى ربه بأن

يتولى أمره، وربما هذا المعنى متجسد في الكلمتين التواب ،و الرحيم دون غيرهما في سياق هذا الحديث ؛حيثُ يتأكّد الاختيار المعجمي للكلمتين بما تُفيده بنية الدعاء بهذا الشكل هنا.

أمَّا الحديث الذي ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه، فنجد في مضمونه أنّ رسول **صلى الله عليه وسلم** ذكر في اختياره لبنية فعل الاستغفار بنية الفعل المضارع (أستغْفرُ)، أي أنَّه وظّف الفعل المضارع مع ضمير المتكلم المفرد (أنا) ثم أتم بنية الحديث بذكر اسم الجلالة"الله" ظاهرا صريحا وبنيته هي أنه اسمٌ اضطلع بوظيفة المفعول به، ثم استحضار الاسم الموصول (الذي) متبوعا بصيغة التوحيد المرسّخة للألوهية (لا إله إلا هو)، ثم ذكر اسمين من أسماء الله تعالى الحُسنى وهما (الحيُّ القيّوم)، ثم عطف بالواو واستعمل صيغة الفعل المضارع (أتوب) ؛ما يؤكّد تواردهما معا، ثم أكمل بشبه الجملة (إليه) العائدة على رب العزة الله سبحانه وتعالى، فالدعاء هنا مُنجز بفعلين مضارعين هما:أستغفر وأتوبُ متعلقين بالمتكلم المفرد ، أي أن بنية الفاعل متحققة بالضمير المستتر وهو(أنا).

ويمكن إعمال النظر في المقصد الإبلاغي لهذا الحديث وهو قصدُ الرجاء والانقياد لله من خلال البنية المنفّذة لذلك القصد، حيث ختم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حديثه بما يؤكد غفران الذنوب وهو قوله (غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف)، وهي جملة مكوّنة أو مُبَنْيَنَةٌ من الفعل الماضي المبني للمجهول(غُفرتْ) ثم نائب الفاعل (ذنوبه) ، ثم الجملة الشرطية (وإن كان قد فر من الزحف).

وفي توظيف صيغة الدعاء بهذه الكلمات، وبهذه البنية ؛ يكون الرسول **صلى الله عليه وسلم** قد قام بالاختيار المعجمي في بناء حديثه، منطلقا من فعلين مضارعين هما أستغفر وأتوب، ثم أعقب ذلك بما يستوجب الفوز بالجزاء والثواب باستعمال أسلوب الالتفات* وقد تجسّد بالانتقال من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي المبني للمجهول وهو الفعل(غُفرتْ)، أي أن الاستغفار والتوبة يؤديان إلى غفران الذنوب ، ولو كان هذا الشخص قد فرّ من الزحف ،وهي كناية عن الحرب، أي وكأنه قد فر أو هرب من لقاء العدو، وهو ما يُرسّخ أنّ صيغة الفعل المضارع ؛ قد أنجزتْ المقصد الشرعي، وهو مغفرة الذنوب والتوبة وقد أجرى ذلك بصيغة المضارع في مقابل صيغة الأمر* في الحديث السابق.

7_أبنية بعض أدعية التسبيح ومقاصدها:

"قال النبي **صلى الله عليه وسلم** << من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرّة حُطّت خطاياه؛ وإن كانت مثل زبد البحر>> رواه أحمد والبخاري ومسلم، والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه" **15**

فكيفية التسبيح التي أخبرنا بها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** تتمثل في عدّة صيغ؛ومن بينها الصيغة التي وردت في الحديث أعلاه وهي (سبحان) اسم المصدر الدال على التسبيح وهو نائب مفعول مطلق تقدير الكلام أسبح سبحان والمصدر هو التسبيح، حيث تمت بنية الحديث من حيث إضافة كلمة سبحان إلى اسم الجلالة(الله)، ثم واو العطف، ثم شبه الجملة (بحمده)

حيث حافظ الضمير الهاء في بحمده على إنجاز ما يُسمى بالاقتصاد اللغوي_مصطلح لساني يعني التعبير عن حاجات الناس بأقل جهد لغوي ممكن_ وعدم تكرار اسم الجلالة(الله) لتمكين الربط بين الجملتين ، وهو ما يُسمى بالإحالة.

وقد جاءت جملة(سبحان الله وبحمده)

في تركيب شرطي جملة الشرط"من قال" وجواب الشرط " حطّت"

والتفصيل تمثّل في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (منْ قال) وهو جملة الشرط مكونّة من أداة الشرط (مَنْ) والفعل الماضي (قال) ثم تعلق شبه الجملة بالشرط (في يوم مائة مرّة) ،حيث أتم هذا التعلق تحقُّقَ جواب الشرط الوارد بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول (حُطّت) المتكونة بنيتُه من الفعل حُطّ وتاء التأنيث الساكنة، يليه نائب الفاعل (خطاياهُ) جمع خطيئة ، أي أنّ ذنوبه كلُّها مغفورة ومُتجاوَزٌ عنها، ونجد أنّ رسولنا الكريم قد أنهى حديثه بأسلوب الشرط كذلك في قوله(وإن كانت مثل زبد البحر) .

والجملة السابقة هي جملة شرطية مؤكّدة للجملة الشرطية الأولى في مستهل الحديث، حيث ترميان إلى أداء غرض دلالي مشترك وهو ترسيخ صيغة النداء بالاختيار المعجمي للكلمات(سبحان الله وبحمده) بهذه الصيغة هنا، وهو ما يُؤكّد المقصد الإبلاغي لتحقيق فعل التسبيح، وتنفيذ المقصدية منه، والمتمثلة في الكناية بصيغة أسلوب الشرط منتهى الحديث (وإن كانت مثل زبد البحر) وهي كناية عن الكثرة، بمعنى أن الدعاء بهذه الصيغة يُوجب مغفرة الخطايا الكثيرة.

وقد تكررت في كتب الدعاء صيغ عديدة للتسبيح، بأبنية متشابهة في الصيغة أحيانا، ومختلفة في المقاصد في أحيان أخرى، فنجد إضافة إلى صيغة سبحان الله وبحمده "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم،سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى، سبُّوح قدّوس ربُّ الملائكة والروح جلَلْتَ السموات والأرض بالعزة والجبروت" **16**

فإذا حللنا صيغ هذه الأدعية الدالة على التسبيح وجدناها تتقاطع مع حديث رسول **صلى الله عليه وسلم** آنف الذكر، ولكن على مستوى الاختيار المعجمي؛ نجد أن هناك كلماتٍ متعددة حلَّتْ محل اسم الجلالة (الله) مثلا: الله العظيم،ربي، ربي العظيم، ربي الأعلى، سبُّوح قدوس، رب الملائكة والروح، الملك القدّوس.

إذن تعدّدت الكلمات الدالة على فعل التسبيح هنا،وهي في تركيبها النحوي ؛يغلب عليها الإضافة والصفة، فالأسماء الحُسنى كلها موجبة لتحقيق الذات الإلاهية فمثلا اسم الله (العظيم) يدلُّ على عظم قدْره أي ليس لعظمته بداية ولا نهاية، واسم الله (الأعلى) يقترن باسم العلي ويعنى الملك البالغ من علو الرتبة، واسم (الملك القدوس) أي الذي أوجد كل شيء، والقدوس الطاهر من العيوب، المنزه عن صفات النقص والحوادث.

واسم (الله) اسم الجلالة كما يرد في أحاديث رسول الله **صلى الله عليه وسلم** هو اسم الله الأعظم،والأسماء الباقية كلها صفات"

والمقاصد الإبلاغية لأبنية أدعية التسبيح تبيّنُ تعدد صفات الله تعالى، وهو ما يتمم عقيدة المسلم؛ حين يدعو الله باسمه الأعظم، أو بأحد أسمائه الحسنى، وهو ما يؤكّد الاحتياج المطلق للبشر إلى خالقهم؛ جلَّ شأنه وعظمت قدرته، ومن بين أدعية التسبيح أيضا،ما أورده "الترمذي رقم3518 في الدعوات قال النبي **صلى الله عليه وسلم** " التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها من دون الله حجاب حتى تخلص إليه " **17**

ومن هذا الحديث يبيّنُ لنا رسولنا محمد **صلى الله عليه وسلم** فضل التسبيح، وقد ورد من حيث بنيته مصدرا من سبح يسبح تسبيحا، حيث بيّنَ منزلته بقوله التسبيح نصف الميزان، وهو يقصد ميزان الحسنات، حيث لا ينفع يوم القيامة مالٌ ولا بنون، وجملة التسبيح نصف الميزان هي جملة خبرية متكونة من مسند إليه (التسبيح) ومسند(نصف الميزان) أي مبتدأ وخبر فمن حيث بنيتها هي جملة اسمية، ثم يوضح **صلى الله عليه وسلم** منزلة الدرجات الأخرى؛ مُمثلة في الوحدات المعجمية(الكلمات): (الحمد)، وصيغة التوحيد ركن الإسلام (لا إله إلا الله) مُبينا منزلتهما مقابل منزلة التسبيح، حيثُ صيغة الحمدُ لله تملؤ الميزان، ولا إله إلا الله ليس بينها وبين الله مانع حتى تصل إليه، وبهذا فرسولنا الكريم **صلى الله عليه وسلم** يوضّح فضل التسبيح والذكر، وما يمكن أن يتبوأه الإنسان من علو المنزلة بهذه الفضيلة المحمودة.

8_أبنية بعض الأحاديث المبيّنة لكيفية الصلاة على رسول صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى {إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} سورة الأحزاب الآية 56

إذا تتبعنا بعض الأدعية الخاصة بالصلاة على رسولنا محمد **صلى الله عليه وسلم** فسنجد أنها متفقة في بيان كيفية أداء الصلاة على النبي، مختلفة أحيانا في الصيغ الدالة على الصلاة والسلام عليه، وحتى نبيّن أبنية تلك الأدعية؛ نوردها كما أوردها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** متوخينا منها إبانة المقاصد الإبلاغية فيها حيثُ" قال النبي **صلى الله عليه وسلم** من صلَّى عليَّ حين يُصبح عشْرا، وحين يُمْسِي عشرا، أدركته شفاعتي يوم القيامة ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد120/10 وقال رواه الطبراني في إسنادين، وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا، نقول وهو حديث حسن" **18**

"عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال :قال رسول **صلى الله عليه وسلم** << إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ، فقالوا يا رسول الله، وكيف تُعرض عليك وقد أرمت؟ قال يقول بليت، قال: إن الله عز وجل حرّم على الأرض أجساد الأنبياء >> رواه أبو داود بإسناد صحيح" **19**

إنّ بنية حديث رسول الله **صلى الله عليه وسلم** تردّدت بين التأكيد والأمر، ثم التأكيد والاستفهام، ثم التأكيد والإخبار،فأمّا التأكيد فكان في مستهل الحديث، باستعمال الأداة إنّ، ثم علاقتها بما بعدها من كلمات في التركيب؛ وهو قوله **صلى الله عليه وسلم** من أفضل أيامكم (يوم الجمعة)، فهو يؤكّدُ خصوصية يوم الجمعة بوصفه أفضل أيام الأسبوع، فقد جاءت بنيته على شكل شبه جملة مقترنة بالإضافة(من أفضل أيامكم) وهي خبر إنّ مقدم، ثم اسم إن مؤخّر (يوم الجمعة) ، وهو مضاف (الجمعة

مضاف إليه)، وبعد هذا التخصيص أورد رسول **صلى الله عليه وسلم** فعل الأمر في صيغة الجمع، فقال رسول **صلى الله عليه وسلم** (فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه).

وقد ربط بين الجملتين بالفاء التي تفيد الربط والترتيب، ثم جاء بالفعل أكثروا وهو فعل أمر مبني ، والواو ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل، ثم وردت شبه الجملة (عليَّ) وبنيتها هي حرف جر و ياء المتكلم اسم مجرور يعود على رسول **صلى الله عليه وسلم** ، ثم أتبع شبه الجملة بشبه جملة أخرى وهي(من الصلاة فيه)، وما يلاحظ بنيويا أنّ أشباه الجمل مرتبطة بفعل الأمر الوارد بصيغة الجمع(أكثروا) ؛وهو ما يؤكد خصوصية أسلوب حوار رسول **صلى الله عليه وسلم** المنتهج مع أصحابه.

ثم أكد أهمية الكثرة من الصلاة عليه بقوله(فإن صلاتكم معرُوضَةٌ عليَّ) ، في بنية هذه الجملة، نجد أنّ الفاء عاطفة متصلة بأداة التأكيد إنّ، ثم ورود اسمها وخبرها(صلاتكم معرُوضَةٌ) ، ثم ورود شبه الجملة (عليَّ) المتعلّقة هنا بالمسند الخبر(معروضةٌ) ، وهي هنا على علاقة بقوله (أكثروا عليَّ) ، فقد جاءت شبه الجملة (عليَّ) بنفس الصيغة في قوله (معروضةٌ عليَّ) ففي الأولى متعلقة بالفعل(المسند) أكثروا، وفي الثانية متعلقة بالخبر (معروضةٌ).

وكلا المسندين الفعل والخبر مترابطان بدلالة فعل الصلاة على رسول **صلى الله عليه وسلم** ، ثم أتى بعد ذلك بأسلوب الاستفهام المنجز للحوار بين رسول **صلى الله عليه وسلم** وصحابته، من حيثُ بيانُ كيفية الصلاة عليه في قوله(وكيف تُعرضُ صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال يقول بليت) فمجيء الاستفهام بالأداة (كيف) يبيّنُ عدم فهم صحابته لكيفية الصلاة عليه،وقد عبروا عن ذلك بالاختيار المعجمي الفعل(أرمت)، واختيار الرسول **صلى الله عليه وسلم** للفعل(بليت) ، لأن معنى أرمت هي غير بليت، لدلالة أرمت من الفعل رمَّ، ويعني رم العظم أي بَلِيَ ، وبليت من بلي بمعنى فنيت أي فني الجسد كله، فأجاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بالتأكيد والإخبار جوابا عن سؤال المسلمين بقوله: (إنّ الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء) .

ولا يخفى أنّ بِنية جواب الاستفهام متكوّنة من أداة التأكيد إنّ، يليها اسم الجلالة(الله) ثم ما تعلق بصفاته (عز وجل) ،ثم الفعل حرّم وبنيته أنه مكون من فعل وفاعل مستتر؛ في محل رفع خبر إنّ، يليها في ترتيب الكلمات نحويا شبه الجملة(على الأرض) المتعلّقة بالفعل حرّم وتقديمها (شبه الجملة)على الفعل كان للتخصيص.

ثم يليهما المفعول به (أجسادَ) وهو مضاف، ثم (الأنبياء)، وهو مضاف إليه، والغرض من هذا الحديث، هو إبلاغ مقصد ديني، وهو الإكثار من الصلاة على رسولنا الكريم **صلى الله عليه وسلم** ، لأنه بمنزلة الحيّ في الدنيا، وما يُؤَكّدُ ذلك الحديث الذي ورد عن أبي هريرة رضيَ الله عنه" أنّ رسول الله قال<< ما من أحدٍ يُسلمُ عليَّ إلا ردّ الله عليَّ روحي حتى أَرُدَّ عليه السلام>> رواه أبو داود بإسناد صحيح" **20**

إنّ قول رسول الله **صلى الله عليه وسلم** في الحديث الذي ورد عن أبي هريرة ؛يُبيّنُ كيفية السلام على رسول **صلى الله عليه وسلم** ، فقد بدأ الحديث بقوله(ما من أحد)، وهي جملة مكونة من (ما) النافية ، ومن حرف جر زائد، و(أحد) اسم مجرور لفظا

مرفوع محلا لأنه مبتدأ ثم قوله يُسلّمُ والتقدير (مسلّمٍ) هي صفة لأحد، ثم شبه الجملة(عليَّ) المتعلّقة أيضا بالفعل المضارع يُسلّمُ ، ودلالته على الحركة والاستمرار.

أي أنّ السلام على رسول الله لا ينقطع ولا يقتصر على الزمن الماضي، بل هو زمن متواصل مضارعٌ ومستقبل، وهذا ما يؤكّدهُ توظيفه **صلى الله عليه وسلم** الأداة(إلا) الدالة على الحصر والمتعلقة بنيويا بالجملة(ردّ عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام)، حيثُ تتكون بنية هذه الجملة من الفعل الماضي(ردَّ) والفاعل اسم الجلالة(الله) وهو خبر المبتدأ أحد، والمفعول به (روحي)، (حتىَّ) الناصبة .

والفعل المضارع أردَّ،ثم شبه الجملة(عليه السلام) المكونة من جار ومجرور ومضاف ومضاف إليه،فقد طَغَى على هذا الحديث أسلوب الالتفات؛والمتمثل في استعمال الأفعال بالانتقال من المضارع الدال على فعل السلام(يسلّمُ)، إلى الماضي الفعل(ردّ)، ثم المضارع الفعل أردَّ المتعلق برسول الله **صلى الله عليه وسلم** ،وهو ما يجسّدُ المقصد الإبلاغي هنا بحضور المتلقي،فصاحب الرسالة محمد **صلى الله عليه وسلم** يُبيّنُ للمتلقي، وهو هنا الأمة الإسلامية المعبر عنها بالتركيب اللغوي(ما من أحدٍ).

وقد تحقق فعل السلام على رسولنا الكريم بالفعل (ردَّ)، والفاعل اسم الجلالة (الله)، وقد عبر الرسول **صلى الله عليه وسلم** عن معنى البخيل بقوله:" البخيل من ذُكرتُ عندهُ، فلم يصلِّ عليَّ رواه الترمذي وقال حديثٌ حسنٌ صحيح" **21**

ولذلك فتحليل أبنية الرسول صلى الله عليه وسلم متعلقة بالبحث في قواعد اللغة العربية من حيث إنها قواعد تنظّم التركيب اللغوي، ولذلكلا يمكننا الوقوف على البناء القاعدي الذي تقدّمه الجملة العربية، ولكن من حيث البحث عن المقاصد الإبلاغية المختلفة، ففي اللغة نظامان يضمنان استمرار بنية التركيب اللغوي.

حيث يكون النظام المغلق الذي يضمن استمرار بنية الجملة من حيث اعتماد القواعد النحوية المعيارية، ولكن في المقابل نجد أنّ هناك نظاما مفتوحا يرتبط بالمقاصد والغايات التي نتغياها من وراء تحليل التركيب اللغوي، وقد وجدنا في تحليلنا لبعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

فالاستغفار مثلا أو التسبيح أو غيرها من الأدعية قد تأتي على شكل بنية تعبيرية بسيطة، ولكن لا نكتفي بتحليل تلك البنية، وإنما من حيث البحث عن المقاصد الإبلاغية التي تضمن المعنى المقصود.

إنّ ما لاحظناه في أبنية الدعاء أنّ المهيمن في تحليل التركيب اللغوي للحديث هو التركيز على المعاني المتعلقة بمفردات المعجم، وهنا لنا أن نقف على العلاقة بين المعجم من حيث المفردات، ومن حيث التركيب النحوي الذي يضمن أيضا استعمال المفردات من حيث المقاصد المرجوة.

إنّ البنيات التعبيرية التي تنشأ من الدعاء مختلفة قد نقف منها مثلا على الرجاء والخضوع، والخوف، والتعظيم لله تعالى ، لأن موقف الداعي أن يرجو الله لتحقيق دعائه، وقد يكون الالتماس في صورة فعل الأمر هي المهيمنة في تحليل التركيب اللغوي، وهو ما يحقق خضوع البشر إلى رجاء الإله أن يحقق أدعيتهم انطلاقا من حاجاتهم الدنيوية والأخروية، والبنية التعبيرية تتطلب بناء نحويا سليما"فالنحو إذن يقُوم على وصف سليقة المتكلم اللغوية، وتلمّس المقاييس العقلية التي تجعله قادرا على استخدام لغته؛ من خلال وصف الأمثلة التي ينتجها هذا المتكلم، ويحكمها قانون واحد يوجهها نحو الصواب اللغوي، ولا ينحرف بها إلى خطأ نحوي خارج النظام الذي تتبعه اللغة، ويعرفه المتكلّم بهذه اللغة" **22**.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث، نلاحظ أنَّ أبنية الدعاء جاءت متوافقة مع التراكيب النحويّة المعيارية؛ التي يُقرُّها النحو، وأنّ تلك التراكيب والبُنى النحوية، تبيّنُ بلاغة الرسول **صلى الله عليه وسلم** ، وقد أوتيَ جوامع الكلم .

وبهذا نُدرك أنّ المقاصد الإبلاغية هي نتاج أبنية لغوية؛ يحكمها معيار النحو، وتتعدد بصور مختلفة، مما يعني تحقيق النتائج التالية:

_ أنّ الدعاء هو طلب يتحقّقُ من حيث الصيغة بفعل الأمر، ولكنه من الأدنى إلى الأعلى، وهو ما يُرسّخ خضوع العبد واحتياجه إلى خالقه، وطاعته لله.

_ قد تكثر في الأحاديث النبوية شبه الجملة(علـيَّ)، والتي تعود من حيثُ البنية على قائلها، وهو رسولنا محمد **صلى الله عليه وسلم** وهو ما يُؤكّدُ حضوره وتعليمه لأمته ، وتسهيلا لهم في قضاء حوائجهم.

_ أنّ الربط بين الأحاديث النبوية هو تحقق دلالة الدعاء؛ التي تعني توثيق الحب بين العبد والرب،وهو ماتحقّقُه المقاصد الإبلاغية المرجوّة من الدعاء.

_ ما يؤكّدُ أبنية الصيغ وتنوعها هو حملها لشحنات نفسية؛ وهذا هو المقصد من الدعاء حيثُ يتم ترسيخ خصوصية تلك الأبنية في الأحاديث رغم اختلاف أغراضها وتنوع قائليها، وهو ما يُبرزُ كذلك تعدّد المقاصد بتعدد الداعين.

الهوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب،دار صادر ،بيروت، لبنان (دط)،(د ت)،ص94/14.

[2]نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،المكتب الجامعي الحديث ،جامعة الشارقة (دط)،2008 ص 300.

3 أحمد عبد الجواد، الدعاء المستجاب في الحديث والكتاب،مطبعة المدني،المؤسسة السعودية بمصر ،القاهرة، مصر (دط)،(د ت)،ص 05.

4بن شرف النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين،دار التجليد الفني،الجزائر، (دط)،(د ت)،ص 413.

[5] ابن جني الخصائص تح محمد علي النجار ج33/3 ، نقلا عن محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام،دار الهدى ،الجزائر ،(دط)،2009، ص 09.

6عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص17.

7مجموعة مؤلفين،المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق،بيروت ، لبنان، ط 39،2002، ص 632.

8 إبراهيم أنيس ومجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط ،القاهرة، مصر (دط)،(د ت)،ص 772.

9منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب،مركز الإنماء الحضاري ،سوريا، (دط)،(د ت) .

10إبراهيم أنيس ومجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط ، ص 772.

11أحمد مختار رمزي، الدعاء معناه فضله آدابه شروطه فوائده،دار النعمان للتراث، بيروت ،لبنان، ط1 ،2009،ص 14.

12[1] أحمد عبد الجواد، الدعاء المستجاب من السنة والكتاب،الدار الدمشقية، دمشق ،سوريا، ط1 ، د ت،ص 53.

(*)مفهوم الاختيار :يعني الاختيار المعجمي للكلمات اختيار الأنسب من الكلمات التي تؤدي المعنى المقصود في سياق الحديث، وهو ما عُبّر عنه في الأسلوبية_منهج نقدي يُحلل النصوص_ بمصطلح الاختيار في مقابل التركيب.

13أبو زكريا يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين،ص 525.

14السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تح حسن حمد،دار الجيل ، بيروت،لبنان، د ط ، د ت،ص 55.

(*) أسلوب الالتفات :هو الانتقال في بناء الجملة من صيغة إلى أخرى، كأن يكون بين الضمائر ؛ أو بين الأفعال، كما هو في حديث رسول الله حيث الانتقال من صيغة الفعل المضارع إلى الماضي

*نتحقق صور أسلوب الأمر من خلال ثلاث صور؛ فهو استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماس مع النظير، سبقت الإشارة إليه ص 06.

15 أحمد عبد الجواد، الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب،ص 13.

16 أحمد مختار رمزي، الدعاء ،ص 106.

17أحمد عبد الجواد، الدعاء المستجاب من السنة والكتاب ،ص25.

18 المرجع نفسه ،ص48.

19 أبو زكريا يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين من كتاب سيد المرسلين ،ص389،388.

20 أبو زكريا يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين من كتاب سيد المرسلين ،ص389.

21المصدر نفسه ،ص389.

22 محمد حماسة عبد اللطيف،النحو والدلالة مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي،دار غريب للطباعة، القاهرة،د ط ،2006 ،ص40.